عذراء الصمت .. والصمت

مروّعتان عيناك
وغائمتان تهرب فيهما الاشباح
وانت وحيدة النهدين في الغرفه
تمر جدائل الاصداء بالشرفه
بصوت الارض والانسان .. ترتعدين
من خوف ومن الفه .
تمر اصابع الليل الشتائيه
تغمغم في رصيف الليل موسيقى جليديه
فيرتعد الحليب الحي في نهديك .. تصرخ في
خصاص الباب همهمة بدائيه
وانت وحيدة العينين في الظلماء منسيه
تغرّب اهلك الفقراء في الليل
تطاردهم قناديل الشوارع والعيون الخرس والحرس
خناجرهم بقلب الريح تنغرس
وينحدرون في الظلماء
خناجرهم نهير دم واقمار
عباءتهم اساطير
وجوع اخضر العينين في الاصلاب محفور .
ربابتهم تغني زهرة الامطار
وينحدرون في ايقاع اغنيّة
جلاجلهم تفجر في دمائهم الرؤى والرعب والاشعار ..

***

تغرب اهلك الفقراء في الليل
ومن تل الى تل
تدور عيونهم في مسرب الاشباح
(تعالوا في خيامكم الدخانيه
من الاطلال والابار
بما في العالم السفلي من عمد سديميه
واجراس تصلصل بالدم المخطوف من اطفالنا الزغب
واكفان تغرغر بالدم الرطب
سنغرس في وجوهكم الرمادية
خناجرنا ..)

ومن تل الى تل
تغرب اهلك الفقراء في الليل
وعاما بعد عام تذبل الكرمه
شهورا ، ثم تخضرّ
وهم .. في الريح .. لم تطفىء لهيب ظمائهم خمر
بكائياتهم غرست قوافيها بقلب الليل
تستسقيه بعض سحائب الرحمه .
(ويا انسان
بقايا من خشاش الارض انت ،
وشائه الخلقه
تطاردك العساكر والقناديل المسائيه
فتضرب تائها من مهدك الثلجي للحد
دماؤك ليس تخضر
وارضك لم تفجر ماءها بئر
وطول الدهر لم تثمر شجيرات الدم المغدور
عنقودا من الغضب
ولم تضرب بكائياتك الخرساء نار الشعر في الحطب
فمزق وجهك المجدور .
وحطم هذه السرج المضببة الشتائيه
فقد شنقتك من عام الى عام .)
ومن عام الى عام
يعود الموكب المقهور في الصبح
على اكتافهم قتلاهم السمر
تغطيهم عباءات تطرزها عصافير الدم المسفوح
تحط على نواطير الشوارع والرصيف الصامت
المهجور
عصافير الدم المسفوح
تحط على الحواري الرطبة الجدران
عصافير الدم المسفوح
تحط على نوافذها المعتّمة الزجاج وسقفها
المصبوغ بالقطران .
عصافير الدم المسفوح .

***

وفي عينيك حط الرعب والغيم
فتنتظرين .. تنتظرين صوتا او صدى يأتي بما
في البحر من سفن
بما في الموج من زرقه
بما في القاع من عشب ومن احجار
وتنتظرين .. تنتظرين صوتا او صدى يأتي بما
في الارض من اشجار
بما في الافرع الخضراء من زهر ومن اثمار
وتنتظرين .. تنتظرين صوتا او صدى يأتي بما
في الريح من امطار
وما في الطين من علق ومن عفن
وما في الصمت من نار تفجر ثديك المعمور باللبن ..

***

مروّعة الضفائر انت في الغرفه
وخلف الباب صوت صارخ بالجوع والرعب
(انا المتسول العريان
تركت دمي لما في الارض من نصب
تطاردني العساكر والمصابيح الضبابية
فجئت مفزّعا .. قد خانني قلبي .
خذي عني الجراب الفارغ المقطوع
هبيني كسرة من خبزك الاخضر
هبيني كوبة من مائك الدموي يعشب
لونها في اضلعي الجوفاء)
فترتعدين من ركن الى ركن
وصوت خطاه في الظلماء يبتعد ..

***

يدور الهمس من دار الى دار
بأن فضيحة تلتف بالعار
تلف حبالها حول الرقاب .. فيصمت الآباء
وتنطفىء العيون السود في الابناء
تجف قلوبهم شيئا فشيئا ثم تحترق
وتحترق الدماء ، تحط شمس الملح والصمت
ومن دار الى دار
تفوح فضائح النسل الذي يأتي بلا قلب ..

***

لقد احببت عينيك
واحببت القناديل التي تهتز عبر شوارع الموت
ركعت العام بعد العام تحت مقاصل الصمت
وبعت دمي لاشرب قطرة من ماء نهديك
لتصعقني البروق الخضر .. تشنقني ضفائرك الالهيه
وقد أحببت حراس الشوارع والحواكير الرماديه
طرحت القلب تحت سنابك الليل
ومن وتر الى وتر
تغمغم آهة الموال من وتر الى وتر ،
تغرغر في نوافذك الزجاجية
وقد احببت — حتى — الرعب
تفجر صدري المحروق بالغفران.
لكل يد ، لاني كنت اطفح بالرؤى والحب
لاني كنت ممتلئا وجوعانا
ومستورا وعريانا
فجئت اليك من درب الى درب
ولم احمل معي قلبي
فقد اعطيته للحارس المنصوب في الباب ..

***

خلال الارض .. من باب الى باب
وعبر نوافذ الطرقات والشرفات
يولول صوتها المخبول :
(خذوني في محفتكم الى الشمس
لتربط في ضفائر شعري الليلي بعض شرائط العرس
خذوا قلبي الى القمر الذي يهتز في البركه
ليطبع فوق خدي قبلة البركه
هبوني طفلة ضحاكة العينين او طفلا
خذوني في سرير الريح
لارجع من عذاب بكارتي حبلى
خذوا عني لهيب الطائر المحفور في صدري
لانزف ما تحجره الرياح الخرس من لبني
اذيقوني عبير لفائف الاطفال
دعوا نهدي ينسكبا خلال حدائق النسل .
ويا ابناء
تعالوا من ظلام البطن يا ابناء
لترحمني شفاهكم الالهيه
من اللبن الذي احتبسته في صدري المصابيح
الشتائيه
تعالوا من شتاء البطن يا ابناء
خذوني في محفتكم الى الشمس
لاشرب جرعة من ابحر النعمه ..)

***

يغيب عويلها يوما ، ويأتي ، ثم ينقطع
وتنقلها الدروب الى الدروب ، تهجم في الطرقات
مفزّعة ، يولول صوتها المشبوح
تلاحقها كلاب الارض عاوية .. بلا رحمه ..

القاهرة

محمد عفيفي مطر